وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ميسان – كلية التربية الأساسية

قسم التاريخ

التطور التاريخي لأسواق العرب في الجزيرة العربية قبل الإسلام

بحث تقدمت به الطالبة

نور فيصل حنين

وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس في التاريخ

بأشراف

م.م وسن كاظم

١٤٤٨هـ - ٢٠٢٦م

الفهرست

الآية	
الاهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
تمهيد	١
المبحث الأول: الجذور التاريخية لنشأة الأسواق في الجزير العربية	٤-١٥
المبحث الثاني : التطور التاريخي لوظائف الأسواق قبل الإسلام	١٦-٢٥
المبحث الثالث : المكانة التاريخية للأسواق قبيل ضهور الإسلام مباشرة	٢٦-٢٩
الخاتمة	٣٠
التوصيات	٣١
قائمة المصادر	٣٢-٣٤

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾

الاهداء

*** إلـى رفيـق الكفـاح مـن تحمـل معـي عنـاء السـهر وضـغوط الدراسـة إلـى زوجـي وقـرة عينـي أهـدي إليـك فرحـة تخرجـي فأنـت الشـريك فـي كـل خطـوة والـدافع خلف كل تميز دمت لي فخرًا وسندًا***

الشكر والتقدير

الحمد لله أولًا وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبتوفيقه تُستجلى غوامض الأمور وتُستكمل المقاصد، له الحمد على ما أولى وأعطى، وعلى ما يسّر وهيّأ حتى تمّ هذا العمل.

ثم أتقدّم بأسمى آيات الشكر والعرفان، وأرفع مراتب الامتنان، إلى الدكتورة وسن كاظم،

كما لا يفوتني أن أعبّر عن بالغ شكري وتقديري إلى أساتذتي الأفاضل في قسم (التاريخ)، لما قدّموه من عطاء علمي أصيل، وتوجيه أكاديمي سديد، كان له الأثر البيّن في صقل هذا العمل وإغنائه.

وأختم بوافر الامتنان إلى عائلتي الكريمة وزوجي العزيز، لما أبدوه من صبرٍ ودعمٍ متواصل، كان له أعظم الأثر في إتمام هذه المسيرة.

نور فيصل حنين

جامعة ميسان / ٢٠٢٦م

تعدّ الأسواق في الجزيرة العربية قبل الإسلام من أبرز الظواهر الحضارية التي أسهمت في تشكيل البنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع العربي القديم. فلم تكن هذه الأسواق مجرد أماكن لتبادل السلع والمنتجات، بل مثلت مراكز حيوية للتفاعل الإنساني، ومنابر للأدب والشعر، وملتقيات لتبادل الأفكار والقيم والعادات بين مختلف القبائل العربية. وقد نشأت هذه الأسواق في بيئة صحراوية قاسية فرضت على الإنسان العربي أن يطوّر أنماطاً خاصة من النشاط الاقتصادي تقوم على التجارة والتنقل، مستفيداً من الموقع الجغرافي للجزيرة العربية الذي شكّل حلقة وصل بين حضارات الشمال والجنوب

لقد شهدت الأسواق العربية قبل الإسلام تطوراً ملحوظاً عبر الزمن، سواء من حيث التنظيم أو الوظائف التي أدتها، حيث تنوّعت بين أسواق موسمية مثل سوق عكاظ وسوق مجنة وسوق ذي المجاز، وأسواق دائمة في بعض المراكز التجارية المهمة. وقد لعبت هذه الأسواق دوراً أساسياً في تنشيط الحركة التجارية، وتسهيل انتقال البضائع مثل التوابل والعطور والمنسوجات، فضلاً عن كونها فضاءات للتنافس الشعري والخطابي الذي ساهم في حفظ اللغة العربية وتطويرها.

وعليه، يهدف هذا البحث إلى دراسة نشأة الأسواق العربية وتطورها، وتحليل وظائفها المتعددة، وإبراز أهميتها في الحياة العربية قبل الإسلام

وقد اعتمدت الباحثة المنهج التاريخي الاستقرائي في تتبع نشأة الأسواق وتطورها خلال العصر الجاهلي والى حد أواخر العصر الجاهلي من خلال استقراء المصادر التاريخية والأدبية التي وثّقت تلك المرحلة المهمة من تاريخ العرب.

اهداف البحث

١.التعرّف على نشأة الأسواق العربية وتطورها التاريخي في الجزيرة العربية قبل الإسلام.

٢.بيان العوامل الاقتصادية والسياسية التي أسهمت في ظهور الأسواق وانتشارها.

٣.تحليل تطور وظائف الأسواق التجارية والتنظيمية والثقافية عبر الزمن.

٤.إبراز دور الأسواق في تمهيد البيئة التاريخية لظهور الإسلام.

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج التاريخي الوصفي من خلال تتبّع نشأة الأسواق العربية قبل الإسلام وتطورها عبر الزمن، بالاعتماد على المصادر التاريخية، مع وصف الظواهر المرتبطة بها وربطها بالظروف السياسية والاقتصادية في الجزيرة العربية.

مشكلة البحث

ما هو التطور التاريخي لأسواق العرب في الجزيرة العربية قبل الإسلام ؟ كيف تطور؟ وماهي ابرز محطاته التاريخية ؟

صعوبة البحث

تتمثل صعوبات البحث في قلة المصادر التاريخية المباشرة عن أسواق العرب قبل الإسلام، وتباين الروايات واختلافها، إضافة إلى صعوبة توثيق التسلسل الزمني الدقيق لنشأة هذه الأسواق وتطورها.

تعدّ تتبّع الجذور التاريخية لنشأة الأسواق في الجزيرة العربية قبل الإسلام مدخلاً أساسياً لفهم طبيعة النشاط التجاري عند العرب وتطوّره عبر الزمن. فقد نشأت هذه الأسواق في سياق تفاعل عوامل متعددة، منها الموقع الجغرافي للجزيرة، وحركة القوافل التجارية، والعلاقات مع الممالك المجاورة، فضلاً عن الظروف السياسية والقبلية التي ساعدت على ظهورها وانتشارها ومن هنا يسعى هذا الفصل إلى الكشف عن البدايات الأولى لهذه الأسواق، وبيان العوامل التي أسهمت في نشأتها، وصولاً إلى تحديد أبرز ملامحها التاريخية في مراحلها المبكرة

تدل المصادر التاريخية والادبية على ان العرب عرفوا النشاط التجاري في العصر الجاهلي المبكر، الا ان هذا النشاط اتسم في بداياته بالبساطة وغياب التنظيم، حيث كانت بعض المعاملات التجارية تقوم على اساليب بدائية تعكس طبيعة المرحلة الاولى من تطور التجارة قبل استقرارها في صورة اسواق منظمة اذ " ان العرب في جاهليتهم انماطا خاصة من البيع يتخذونها في اسواقهم، وهي في جملتها مما يثير استغرابا ودهشة، لان اكثرها مما يفتقر فيه الى تعيين المبيع او المتاع، وتصور لذلك البيوع ما كان عليه تفكير فريق منهم، بل منها ما امتاز به سوق من سوق وجماعة من جماعة، ومن ذلك بيع الحصاة* او النبذ"[1] وكانت هذه البيوع قائمة على الغرر الذي نها عنها الإسلام لاحقا .

* الرمي بالحصاة : ذكروا لهذا البيع صورا كثيرة تجري في سوق دومة الجندل منها أن يقول أحد المتبايعين للآخر: ارم هذه الحصاة، فعلى أي ثوب وقعت فهو لك بدرهم أن يقول البائع: إذا رميت هذا الثوب بالحصاة فهو مبيع منك بكذا. فيجعل الرمي بالحصاة نفسه بيعا، أو يعترض القطيع من الغنم فيأخذ حصاة ويقول: أي شاة أصابتها فهي لك بكذا أن يقول: بعتك من السلع ما تقع عليه حصاتك، أو بعتك من الأرض إلى حيث تنتهي حصاتك أن يقبض المشتري على كف من حصى ويقول: لي بعدد ما خرج في القبضة من الشيء المبيع أن يبيع سلعة ويقبض على كف من حصى ويقول: لي بكل حصاة درهم أن يقول للمشتري: بعتك على أنك بالخيار إلى أن أرمي هذه الحصاة، وربما اتفق في السلعة الوسط فلا يجدون بدا من أن يشتركوا وهم كارهون، وربما (اتفقوا) فألقوا الحجارة جميعا (إذا كانوا عددا على أمر بينهم) فيكون لصاحب السلعة إذا تظاهروا عليه : للمزيد ينظر في , المصدر نفسه ,ص ٤٨-٥١

[1]) ينظر : الافغاني، سعيد(ت١٩٩٧) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ,دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ,لبنان – بيروت , ط٣ , ١٩٧٤ ,ص٤٦

حيث تطور النشاط التجاري عند العرب،" إذ لم تقتصر التجارة على الأساليب البدائية فحسب، بل بدأت ترتبط بعوامل اجتماعية ودينية أسهمت في تنظيمها بصورة أوضح، حيث كان للعرب تقاليد راسخة تحكم حياتهم، من أبرزها تعظيم الأشهر الحرم، التي وفرت قدرا من الأمن والاستقرار، مما انعكس مباشرة على ازدهار النشاط التجاري .وفي هذا الإطار، اتجه العرب إلى استغلال هذه الفترات الآمنة في إقامة أسواقهم الكبرى، حيث تجتمع القبائل دون خوف من النزاعات، الأمر الذي هيأ بيئة مناسبة للتبادل التجاري، ومهد لانتقال التجارة من صورتها العفوية إلى شكل أكثر تنظيما وانتشارا. وقد ارتبطت هذه الأسواق بمواسم محددة، فكانت تقام في أوقات معينة من السنة، مما يدل على بداية ظهور تنظيم زماني ومكاني للتجارة"[1]

وقد ارتبطت هذه الأسواق بمواسم محددة، فكانت تقام في أوقات معينة من السنة،" مما يدل على بداية ظهور تنظيم زماني ومكاني للتجارة ومع تطور هذا التنظيم، لم تعد هذه الأسواق مقتصرة على العرب وحدهم، بل تحولت إلى مراكز تجارية واسعة تستقطب مختلف القوميات والشعوب المجاورة، حيث كانت تقصدها جماعات من الفرس وغيرهم للتجارة، كما شارك فيها تجار الهند والصين، مما يعكس اتساع نطاق النشاط التجاري وتجاوز حدوده المحلية وقد أدى هذا الانفتاح إلى تعزيز مكانة الأسواق العربية، إذ لم تقتصر وظيفتها على التبادل الداخلي، بل أصبحت جزءا من شبكة تجارية إقليمية، خاصة مع ارتباطها بطرق التجارة البرية والبحرية. كما شهدت بعض هذه الأسواق نوعا من التنظيم الاقتصادي، تمثل في فرض الضرائب والعشور عليها من قبل الملوك، الأمر الذي يدل على انتقالها من مجرد تجمعات موسمية إلى مؤسسات ذات طابع اقتصادي أكثر تنظيما واستقرارا"[2]

لم يكن تطور النشاط التجاري عند العرب بمعزل عن محيطهم، بل ارتبط بعلاقاتهم مع الممالك المجاورة. ففي جنوب الجزيرة العربية أسهمت ممالك سبا ومعين وحمير في تنشيط التجارة وتنظيم طرق القوافل، خاصة عبر طريق البخور. أما في الشمال، فقد لعبت مملكتا لخم والغساسنة دور الوسيط بين العرب والروم والفرس، وساعدتا في تأمين

[1]) الافغاني ، سعيد , أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ،ص٧١
[2]) بن حبيب ،أبو جعفر محمد: المحبر ، تحقيق ايليزة ليختن شنيتر ، بيروت ، د ت ، ص ٢٦٥-٢٦٦

الطرق التجارية، مما أدى إلى ازدهار التجارة واتساع نطاقها" ازدهرت مملكة سبأ نتيجة سيطرتها على طرق التجارة، كما اعتمدت مملكة معين على القوافل التجارية، في حين تمكنت حمير من بسط نفوذها على التجارة البرية والبحرية في جنوب الجزيرة العربية"[١]

وإذا كانت ممالك الجنوب العربي كسبأ ومعين وحمير قد أسهمت في تنشيط التجارة من خلال السيطرة على طرق القوافل وتنظيمها، فإن ممالك الشمال، وعلى رأسها الغساسنة والمناذرة، أدت دورا مكملا، تمثل في تأمين الطرق التجارية والقيام بدور الوسيط بين العرب من جهة، والروم والفرس من جهة أخرى " اتخذ الفرس من اللخميين (المناذرة) حلفاء لهم، كما اتخذ الروم الغساسنة أعوانا، وكان الهدف من ذلك تأمين الطرق التجارية وحماية الحدود"[٢]

اذ " قامت مملكة الغساسنة في بلاد الشام بدور الوسيط بين العرب والروم، في حين أدت مملكة المناذرة دورا مشابها مع الفرس، مما أسهم في تنظيم التجارة وتأمين القوافل"[٣]

أسهمت طرق القوافل القديمة، مثل طريق البخور واللبان والقمح، في تنشيط الحركة التجارية في الجزيرة العربية، إذ شكّلت شرايين حيوية ربطت بين جنوب الجزيرة وشمالها، "ومكّنت من انتقال السلع والبضائع عبر مسافات واسعة. فقد كانت هذه الطرق تمر بمناطق متعددة، مما أدى إلى ظهور مراكز تجارية وأسواق على امتدادها، وأسهم في ازدهار النشاط الاقتصادي في تلك المناطق. كما كان لهذه الطرق دور مهم في ربط الجزيرة العربية بالعالم الخارجي، حيث وصلت القوافل إلى بلاد الشام والعراق ومصر، حاملة منتجات الجنوب العربي كاللبان والبخور، ومقابلة بسلع أخرى كالقمح والمنسوجات. ولم يقتصر تأثيرها على الجانب الاقتصادي فحسب، بل أسهمت أيضًا في تعزيز التواصل بين القبائل والشعوب المختلفة، ونقل الخبرات والعادات، مما ساعد على تطور التجارة واتساع نطاقها بشكل ملحوظ"[٤]

---

١) سالم عبد العزيز ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٠، ص ٨٨.
٢) مهران محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٨، ص ٢١٣.
٣) حتي فيليب ، تاريخ العرب (مطول)، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، الجزء الثالث ، بيروت، ط٥، ١٩٥١، ص ١٠١
٤)ينظر، سالم عبد العزيز ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ،ص٨٨-٩٠

وقد مثّل طريق القوافل العمود الفقري للحركة التجارية في الجزيرة العربية، "إذ اعتمدت عليه القبائل في نقل السلع والبضائع عبر مسافات طويلة، من جنوب الجزيرة إلى شمالها، مرورا بالمراكز التجارية المهمة. وكانت القوافل تسير وفق مسارات معروفة ومحطات محددة للتزود بالماء والراحة، مما أسهم في استقرار الحركة التجارية وانتظامها. كما أدى هذا الطريق إلى ظهور علاقات اقتصادية بين القبائل، حيث تعاونت في حماية القوافل وتأمين مرورها، الأمر الذي عزز من ازدهار التجارة وساعد على توسعها، وربط الأسواق العربية بشبكات تجارية أوسع داخل الجزيرة وخارجها"[١]

حيث أسهم الموقع الجغرافي للجزيرة العربية في جعلها حلقة وصل مهمة بين الشرق والغرب، "إذ توسطت بين بلاد الهند وشرق آسيا من جهة، وبلاد الشام ومصر والبحر المتوسط من جهة أخرى. وقد أدى هذا الموقع إلى مرور طرق التجارة العالمية عبرها، سواء البرية منها أو البحرية، مما جعلها محطة أساسية لانتقال السلع والبضائع. كما ساعد هذا الموقع على ازدهار النشاط التجاري، حيث استفاد العرب من موقعهم في الوساطة التجارية بين الأمم، فنقلوا السلع الشرقية كالبهارات والبخور إلى الأسواق الغربية، واستوردوا في المقابل منتجات مختلفة، الأمر الذي أسهم في تنشيط التجارة واتساعها، وجعل الجزيرة العربية مركزا حيويا للتبادل التجاري في العصور القديمة"[٢]

إضافة " لبلاد العرب موقع جغرافي متوسط، بين بلاد أعظم الدول وأقدم الحضارات. فإلى شمالها الشرقي بلاد فارس وإلى شمالها الغربي بلاد الروم ومصر، وإلى غربها الجنوبي وراء البحر بلاد الحبشة، وفي جنوبها البحر الهندي الذي يفصلها عن بلاد الهند"[٣]

هنا اتسم التبادل التجاري عند العرب قبل ظهور الأسواق الموسمية بالبساطة وعدم التنظيم، "حيث اعتمد في مراحله الأولى على المقايضة المباشرة بين الأفراد والقبائل، حيث يتم تبادل السلع دون وجود نظام نقدي واضح أو قواعد ثابتة تحكم المعاملات. وكانت هذه المبادلات تتم غالبا في نطاق محدود داخل التجمعات القبلية أو أثناء تنقل القوافل، دون وجود أماكن مخصصة للتجارة أو أسواق ثابتة كما اتخذت هذه المعاملات

[١]) مهران محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ،ص٢٢٠
[٢])المصدر السابق نفسه ،ص٢١٠
[٣]) الافغاني سعيد, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ،ص١٥

طابعا عرفيا، إذ خضعت لعادات القبائل وتقاليدها، مما أدى إلى ظهور بعض صور البيع التي تفتقر إلى الضبط والدقة، وتعتمد على الاتفاقات البسيطة والمساومة. ومع توسع حركة القوافل وازدياد الاتصال بالممالك المجاورة، بدأ التبادل التجاري يأخذ طابعا أكثر اتساعا، حيث تنوعت السلع وتعددت طرق التعامل، الأمر الذي مهد تدريجيا لظهور أشكال أكثر تنظيما من النشاط التجاري. وقد ساعدت هذه التطورات على الانتقال من مرحلة التبادل العفوي المحدود إلى مرحلة أكثر تقدما، تمثلت لاحقا في نشوء الأسواق الموسمية التي جمعت بين القبائل في أوقات وأماكن محددة، وأسهمت في تنظيم التجارة وتوسيع نطاقها"[١]

قد اتضح أن النشاط التجاري عند العرب في العصور القديمة لم ينشأ دفعة واحدة في صورة منظمة، بل مر بمراحل تدريجية بدأت بالتبادل البسيط القائم على المقايضة والعرف، ثم تطور مع اتساع حركة القوافل وتعدد طرق التجارة، وازدياد الاتصال بالممالك المجاورة، مما أسهم في تنوع السلع وظهور أشكال أولية من التعامل التجاري. وقد مهدت هذه التحولات لتهيئة بيئة اقتصادية أكثر نضجا، أسهمت في الانتقال من التجارة العفوية المحدودة إلى أشكال أكثر تنظيما واستقرارا. وانطلاقا من ذلك، يصبح من الضروري الوقوف على العوامل التاريخية التي أسهمت في هذا التحول، وأدت إلى ظهور الأسواق الموسمية والدائمة،

أسهم "الاستقرار النسبي في بعض فترات التاريخ القبلي في تهيئة بيئة ملائمة لنمو النشاط التجاري عند العرب، إذ أدت فترات الهدوء وتراجع النزاعات بين القبائل إلى تأمين طرق القوافل وتسهيل حركة التنقل بين المناطق. وقد أتاح هذا الاستقرار فرصة للتجار لممارسة نشاطهم بحرية أكبر، مما ساعد على ازدياد حجم التبادل التجاري واتساع نطاقه"[٢]

كما ساعدت هذه الفترات على تجمع القبائل في أماكن محددة، الأمر الذي مهد لظهور مراكز تجارية وأسواق موسمية، حيث أصبحت التجارة أكثر تنظيما واستقرارا مقارنة

[١]) مهران محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ،ص٧٠ -٧٧
[٢]) مهران محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ،ص٢٢٥

بالمراحل السابقة التي اتسمت بعدم الأمن وكثرة الصراعات حيث "كان العرب يعظمون أماكن خاصة وشهوراً معينة، لا يسفكون فيها دماً، ولا يتجاوز بعضهم على بعض حتى يزايلوا المكان الحرام، أو ينقضي الشهر الحرام. وكان من بعد النظر أن جعلوا أكبر أسواقهم يقام في الأشهر الحرم، فكانت سوق حباشة وسوق صحار في رجب، وحضر موت في ذي القعدة، وعكاظ ومجنة وذو المجاز في ذي القعدة وذي الحجة. ومعلوم أن الأشهر الحرم أربعة: رجباً وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، تضع فيهن العرب سلاحها، فلو لقي المرء قاتل أبيه ما سعه التعرض له بسوء، حتى إن لقيهم رجب بالأصم، كان لا ينادى فيه: يا صباحاه ولا (يا لفلان)، فيتقاطع فيه صوت الأسلحة. وكان من أعظم العار أن يتعدى المرء حدود الشهر الحرام والبلد الحرام، ولهذا سميت العرب حرب قريش وهوازن في عكاظ بحروب الفجار لجرمهم بقتالهم في الشهر الحرام"[١]

وأيضا " قال المرزوقي: وكانت هذه الأسواق منها ما يقوم في الأشهر الحرم ولا يقوم في غيرها، ومنها ما لا يقوم في الأشهر الحرم ويقوم في غيرها، لكنه لا يصل إليها أحد إلا بجفير، ولا يرجع إلا بجفير...ولا يخفى أن الأمن من أوكد الأسباب في انتظام أمور التجارة، فلولاه ما أخرج بائع بضاعته، ولا تظاهر مشترٍ بملك نقود. ومن هنا كان لقريش تلك الزعامة التجارية لأنها تسكن الحرم حيث الأمن والسلم، وحيث لا يتحدث أحد نفسه بالبغي والعدوان. فكانت تجارات العرب أروح ما تكون حيث يثبت الأمن وتعم الثقة. رعاية هذه الحرم على ما تقدم ليست مطردة على إطلاقها، بل هي كذلك في الأعم الأغلب، إذ إن هناك قبائل معدودة لا تعرف هذه الحرمات حقاً، فكانت تسفك الدم ولو في الشهور الحرم أو البلد الحرام. علمت قريش أمر هذه القبائل فكانت تسلك في طريقها على القبائل التي تحفظها حرمتها، وإذا وردت على من لا يراعي حرمة تحفّرت بجفير"[٢]

وقد أسهمت الأشهر الحرم في توفير إطار تنظيمي لوقف القتال بين القبائل، مما أتاح قدرا من الأمن والاستقرار، الأمر الذي ساعد على تنشيط الحركة التجارية وتسهيل تنقل القوافل. وفي ظل هذا الاستقرار، برزت مراكز حضرية مهمة مثل مكة ويثرب والطائف، التي تحولت إلى نقاط تجمع للتجارة وأسهمت في تطور النشاط الاقتصادي وتنظيمه." أن مراكز الحضر في الحجاز، وعلى

[١]) الافغاني سعيد, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ،ص٧٠
[٢]) المصدر نفسه ،ص٧٣

رأسها مكة، شهدت تطورا ملحوظا منذ العصور القديمة، حيث أصبحت من أهم المراكز التجارية التي استقطبت النشاط الاقتصادي بشكل متزايد. ويُفهم من النص أن هذا التطور لم يكن وليد لحظة، بل جاء نتيجة تراكم تاريخي طويل، إذ استمرت هذه المدن في أداء دورها التجاري حتى بعد ظهور الإسلام، مما يدل على رسوخ بنيتها الاقتصادية. كما يشير النص إلى أن انتشار الأسواق الدائمة حول المسجد الحرام يعكس انتقال هذه المراكز من مجرد تجمعات سكانية إلى مدن ذات تنظيم اقتصادي واضح، حيث أصبحت التجارة نشاطا مستقرا ومستمرا، لا يقتصر على المواسم فقط. وهذا يدل على تطور في طبيعة المدن الحضرية، إذ تحولت إلى مراكز جذب تجاري ذات طابع دائم. ويبرز أيضا أن بعض هذه الأسواق استمر لفترات طويلة، بينما اختفى البعض الآخر، مما يعكس ديناميكية التطور الحضري وتأثره بعوامل اقتصادية وسياسية، مثل تغير طرق التجارة أو الظروف العامة"[١]

وقد شهدت مراكز الحضر في الجزيرة العربية، "مثل يثرب والطائف، تطورا ملحوظا في نشاطها الاقتصادي، حيث تحولت من تجمعات سكانية بسيطة إلى مراكز تجارية وزراعية ذات أهمية متزايدة. فقد عرفت يثرب بنشاطها الزراعي وموقعها على طرق القوافل، مما جعلها محطة مهمة للتبادل التجاري، في حين برزت الطائف كمركز زراعي وتجاري مهم، أسهم في دعم الحركة الاقتصادية في الحجاز، خاصة بفضل إنتاجها الزراعي وارتباطها بالأسواق القريبة. ومع تزايد أهمية هذه المراكز، برز دور القبائل الكبرى في توجيه النشاط التجاري والسيطرة عليه، حيث تمكنت قريش من بسط نفوذها على طرق التجارة في مكة وما حولها، مستفيدة من موقعها الديني والاقتصادي، بينما أسهمت قبائل الأزد وكندة في تنظيم العلاقات التجارية داخل الجزيرة وخارجها، مما أدى إلى تعزيز الاستقرار وتوسيع نطاق التجارة. وبذلك، لم يقتصر تطور المدن على الجانب الاقتصادي فحسب، بل ارتبط أيضا بتصاعد نفوذ القبائل الكبرى التي لعبت دورا أساسيا في تنظيم الأسواق وتأمين طرق التجارة، الأمر الذي مهد لظهور مراكز تجارية أكثر تنظيما واستقرارا"[٢]

أن "نفوذ قريش لم يكن وليد الصدفة، بل جاء نتيجة تطور تدريجي ارتبط بالنشاط التجاري وتنظيم شؤون مكة. فقد أسهمت شخصيات بارزة مثل هاشم بن عبد مناف في

[١])ينظر: العليان خالد بن عبد العزيز بن علي ، الأسواق التجارية في الحجاز واليمن منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر العباسي الأول (١–٢٣٢هـ / ٦٢٢–٨٤٦م)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، بإشراف: د. عبد العزيز بن سليمان المقبل، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٣–١٤٣٤هـ / ٢٠١١–٢٠١٢م ،ص١٥٧

[٢]) ينظر : سالم عبد العزيز ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ،ص٣٧٣-٣٩٠

توسيع نطاق التجارة، من خلال تنظيم الرحلات التجارية وإقامة علاقات مع مناطق مختلفة كالشام واليمن والعراق، مما أدى إلى ازدهار النشاط التجاري وارتفاع مكانة قريش بين القبائل. كما لعب قصي بن كلاب دورا محوريا في تعزيز هذا النفوذ، إذ عمل على تنظيم قريش داخل مكة، وجمع بطونها حول الحرم، وأنشأ دار الندوة التي أصبحت مركزا لاتخاذ القرارات، مما يدل على انتقال قريش من مجرد قبيلة إلى قوة منظمة ذات نفوذ سياسي واقتصادي. وقد ساعد هذا التنظيم، إلى جانب الوظائف الدينية كالسقاية والرفادة، في ترسيخ مكانة قريش وجعل مكة مركزا جاذبا للتجارة. وانعكس هذا النفوذ بشكل مباشر على نشأة الأسواق، حيث أسهمت هيبة قريش وقدرتها على تأمين الطرق وتنظيم العلاقات بين القبائل في توفير بيئة آمنة للتبادل التجاري، الأمر الذي أدى إلى ازدهار الأسواق وظهورها بصورة أكثر تنظيما واستقرارا، خاصة في مواسم الحج التي كانت تشهد تجمعات واسعة. وبذلك، يمكن القول إن تصاعد نفوذ قريش كان عاملا أساسيا في انتقال التجارة من الطابع العفوي إلى التنظيم، مما مهد لظهور أسواق أكثر استقرارا واتساعا. ومن هذا المنطلق، لم يقتصر دور التنظيم التجاري على قريش وحدها، بل أسهمت قبائل أخرى في دعم هذا النشاط، الأمر الذي يستدعي الوقوف عند دور قبائل مثل الأزد وكندة في الحياة الاقتصادية وتنظيم العلاقات التجارية داخل الجزيرة العربية."[1]

أسهمت" قبيلتا الأزد وكندة في دعم النشاط التجاري داخل الجزيرة العربية، حيث لعبت الأزد دورا مهما في الاستقرار السكاني بعد هجرتها من جنوب الجزيرة، واستقرت في مناطق متعددة مثل يثرب وعمان، مما ساعد على تنشيط التبادل التجاري وربط المراكز الحضرية ببعضها. كما برزت قبيلة كندة بوصفها قوة سياسية سعت إلى توحيد القبائل في وسط الجزيرة، الأمر الذي أسهم في توفير قدر من الاستقرار وتنظيم طرق التجارة، خاصة عبر إشرافها على بعض المسالك التجارية وتأمينها"[2]

[1])ينظر: الافغاني سعيد, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ،ص٩٥-١٠١

[2]) سالم عبد العزيز ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ،ص١١٠

وقد "أدى هذا الدور إلى تعزيز الحركة التجارية وتوسيع نطاقها، إذ لم تقتصر التجارة على قريش وحدها، بل شاركت فيها قبائل أخرى أسهمت في حماية القوافل وتنظيم العلاقات الاقتصادية، مما مهد لظهور بيئة تجارية أكثر استقرارا وتنظيما في الجزيرة العربية"[١]

ومع تطور القبائل العربية وتزايد نفوذ بعضها، ولاسيما قريش، إلى جانب ما شهدته الجزيرة من فترات استقرار نسبي وهدوء في النزاعات، بدأت التجارة تنتقل تدريجيا من طابعها الموسمي إلى شكل أكثر ثباتا واستقرارا. فقد أسهمت هذه الظروف السياسية في تأمين الطرق وتنظيم العلاقات بين القبائل، مما شجع على استقرار التجار في أماكن محددة وظهور أسواق دائمة، خاصة في المراكز الحضرية مثل مكة ويثرب والطائف، حيث أصبحت هذه الأسواق تمارس نشاطها بشكل مستمر ولم تعد مرتبطة بمواسم محددة فقط وفي ظل هذا التطور، برزت بعض الأسواق الكبرى التي اكتسبت شهرة واسعة، وكان من أبرزها سوق عكاظ، الذي يمثل نموذجا متقدما للأسواق العربية من حيث التنظيم والأهمية التجارية.

أولا – <u>سوق عكاظ:</u> عكاظ: بضم أوله، وآخره ظاء معجمة[٢] اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، سمي عكاظ: لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً بالمفاخرة أي يدعك، وعكظ فلان خصمه بالرد والحجج عكاً، ومعاكظة القوم تعاكظاً إذا تحاسبوا مقرونين في أموالهم، وبه سميت عكاظ[٣] وقال الأصمعي: عكاظ نخل في وادٍ بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال، وبه كانت تقام سوق العرب بموضع منه يقال له: الأثداء، وبه كانت أيام الفخار وكان هناك صخور يطوفون بها ويحجون إليها[٤] ويذكر عن الواقدي قوله: (وهذه أسواق قريش لم يكن فيها أعظم من عكاظ[٥] وكانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق مجنة فيقيمون فيه عشرين يوماً من

١) مهران محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ،ص٢٣٠
٢) القيومي ، المصباح المنير ، ص٢٧١ (مادة عكاظ)
٣) الحموي ياقوت ، شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان (بيروت: د.ت)، ج ٤، ص١٤٢
٤) المصدر نفسه ، ص١٤٢
٥) المصدر نفسه ، ص١٤٢

ذي القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه أيام الحج[١] وكانت سوق عكاظ: لقيس بن عيلان، وثقيف وهي بمعدن هوازن، وأرضها لنصر، وقد ذكر المؤرخون أن هوازن منعت قريشاً مرة من حضور عكاظ – كما يروى عن الهمداني – (أنه لما طرد عبد الله بن جدعان القرشي مائة ناقة لكلاب بن ربيعة من هوازن، وأرسل هذا إلى قريش أن سفيهكم أغار على طرد لي مائة ناقة، فليس لكم أن تشهدوا عكاظ، ولي عليكم ثأر... ونوت قريش قتل ابن جدعان لعدم استقائها عن حضور السوق)[٢]

وبعد انتهاء موسم سوق عكاظ، كانت الحركة التجارية تنتقل إلى سوق مجنة قرب الطائف، حيث يواصل التجار نشاطهم في بيئة آمنة، مستفيدين من استمرارية المواسم وتنظيمها، مما يعكس ترابط الأسواق العربية وانتظامها عبر أزمنة محددة.

ثانيا – **<u>سوق مجنة :</u>** مجنة موضع – فيها بالفتح والكسر [٣] وقيل: بلد قرب مكة على أميال منها، تقع عبر الظهران [٤] قرب جبل يقال له: الأسفل، وقد جاء هذا الموضع في شعر بلال الحبشي رضي الله عنه إلى المدينة وأصيب بالحمى:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بفخٍّ وحولي إذخرٌ وجليلُ

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامةٌ وطفيلُ [٥]

وقد كانت هذه السوق (مجنة) لكنانة وأرضها من أرض كنانة، تقوم في العشر الأخير من ذي القعدة، ويقصدها العرب بعد أن تنفض سوق عكاظ، فيتممون فيها ما قصدوا له من تجارة وفداء وتفاخر [٦]وكان يُجلب إلى تلك السوق من متاع وفئة

---

[١]) الحموي ياقوت ، شهاب الدين بن عبد الله ج ٤، ، ص١٤٢

[٢]) الافغاني سعيد, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ،ص٢٩٠

[٣]) الحموي ياقوت ، شهاب الدين بن عبد الله ، ج ٨، ص ٥٨.

[٤]) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦٣.

[٥]) المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشيباني (ت ٢٨٥هـ): المراثي والمواعظ والوصايا، تحقيق: إبراهيم محمد حسن، مطبعة النهضة – مصر (د.ت)، ص ٢٦٢

[٦]) البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط ٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م، ج ٦، ص ١٥.

الخمر، فقد كانت تحمل إليها من معادنها من الشام وبصرى وغزة حتى صار يُشيد بذكرها الشعراء. قال أبو ذؤيب الهذلي [١]

سلافة راح ضمّنتها إداوة قنيرة ردف المؤخرة الرحل

تزودها من أهل بصرى وغزة إلى جسرة مرفوعة الذيل والكفل

فواق بها عسفان ثم أتى بها (مجنة) تصفو في القلالي ولا تغلي [٢]

وبعد انتهاء نشاط سوق مجنة في الطائف، كانت الحركة التجارية تتجه نحو محيط مكة، حيث ظهر سوق ذي المجاز وكان يقام في ذي الحجة تحديدا بوصفه محطة تجارية مهمة ضمن تسلسل الأسواق الموسمية. وقد ارتبط هذا السوق بقربه من مكة وموسم الحج، مما جعله مركزا لتجمع التجار والقبائل، ومكملا لدور الأسواق السابقة في تنشيط التبادل التجاري وتنظيمه[٣]

لم "يقتصر النشاط التجاري على هذه المنطقة، بل امتد إلى جنوب الجزيرة العربية، حيث برزت أسواق اليمن مثل عدن وهو سوق ابين وصنعاء وسوق الشحر في حضرموت ، التي كانت من أهم المراكز التجارية القديمة. فقد تميزت هذه الأسواق بموقعها القريب من طرق التجارة البحرية، مما جعلها حلقة وصل بين التجارة البرية القادمة من داخل الجزيرة والتجارة البحرية المتجهة نحو الهند وشرق أفريقيا، الأمر الذي أسهم في ازدهارها واتساع نشاطها"[٤]

وبذلك" يظهر أن الأسواق العربية لم تكن منفصلة عن بعضها، بل شكلت شبكة مترابطة امتدت من شمال الجزيرة العربية إلى جنوبها، حيث تكاملت أسواق الحجاز مع أسواق اليمن، مما أدى إلى تنشيط الحركة التجارية وربط مختلف مناطق الجزيرة ضمن نظام اقتصادي واحد يقوم على تبادل السلع وانتقال القوافل عبر مسارات منتظمة"[٥]

---

١) أبو ذؤيب الهذلي: خويلد بن خالد بن محرز، أبو ذؤيب، من بني هذيل بن مدركة، من مصر: شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن المدينة، واشترك في الغزو والفتح، وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى إفريقيا (سنة ٢٦هـ غازياً)، فشهد فتح إفريقيا وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان (رضي الله عنه)، فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها، وقيل مات بإفريقيا. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٣٥

٢) الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت ٢١٦هـ): الإبل، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط ١، دار البشائر، دمشق – سورية، ٢٠٠٣م، ص ١١٧؛ الأزرقي، أخبار مكة، ص ١٣٣

٣) ينظر: الافغاني سعيد, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ،ص٣٥

٤) المصدر نفسه ،ص٤٠

٥)ينظر : مهران محمد بيومي ، دراسات في تاريخ العرب القديم ،ص٢٣٥

وفي ضوء ما تقدم، يتضح أن نشأة الأسواق في الجزيرة العربية قبل الإسلام لم تكن ظاهرة مفاجئة، بل جاءت نتيجة تطور تاريخي طويل ارتبط بحركة التجارة ونمو النشاط الاقتصادي عبر العصور. فقد بدأت التجارة في صور بسيطة قائمة على المقايضة والتبادل المحدود، ثم تطورت تدريجيا مع ازدياد حركة القوافل واتساع العلاقات مع الممالك المجاورة، مما أدى إلى تنوع السلع وظهور أشكال أولية من التعامل التجاري.

كما أسهمت عوامل متعددة في هذا التطور، من أبرزها الموقع الجغرافي للجزيرة العربية بوصفها حلقة وصل بين الشرق والغرب، إلى جانب دور طرق القوافل القديمة التي ربطت شمال الجزيرة بجنوبها، فضلا عن تأثير الاستقرار النسبي والأشهر الحرم في توفير الأمن اللازم لازدهار النشاط التجاري. وقد أدى ذلك إلى ظهور الأسواق الموسمية التي نظمت حركة التجارة وجمعت القبائل في أوقات وأماكن محددة.

ومع تزايد نفوذ القبائل الكبرى، ولاسيما قريش، إلى جانب دور قبائل أخرى كالأزد وكندة، تطور النشاط التجاري بصورة أكثر تنظيما، فانتقلت الأسواق من طابعها الموسمي إلى شكل أكثر استقرارا، وبرزت أسواق كبرى مثل عكاظ ومجنة وذي المجاز في الحجاز، إلى جانب أسواق اليمن كعدن وصنعاء وحضرموت، مما يعكس امتداد الشبكة التجارية عبر مختلف أنحاء الجزيرة العربية.

وبذلك، فإن هذه الأسواق تمثل نتاجا لتراكم تاريخي طويل، ارتبط بعوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية، ومهد لظهور نظام تجاري أكثر تطورا في المراحل اللاحقة.

بعد أن تبيّن في المبحث الأول أن الأسواق في الجزيرة العربية قبل الإسلام نشأت نتيجة تطور تاريخي طويل، ارتبط بحركة التجارة ونمو النشاط الاقتصادي، فإن هذه الأسواق لم تبقَ ثابتة في وظائفها، بل شهدت بدورها تطورا تدريجيا عبر مراحل زمنية متعاقبة فقد انتقلت الأسواق من مجرد أماكن لتبادل السلع في نطاق محدود إلى مراكز أكثر تنظيما، ارتبطت بحركة القوافل واتساع طرق التجارة، وتأثرت بالظروف السياسية والاقتصادية التي مرّت بها الجزيرة العربية. ومع مرور الزمن، أخذت وظائف هذه الأسواق تتحدد بصورة أوضح من حيث طبيعة النشاط التجاري، وانتظام مواعيدها، واتساع نطاق التبادل فيها ومن هذا المنطلق، يتناول هذا المبحث التطور التاريخي لوظائف الأسواق قبل الإسلام، من خلال تتبع مراحل تحولها عبر الزمن، مع التركيز على الجانب التاريخي دون التوسع في التحليل الاجتماعي.

شهدت السلع المتداولة في أسواق العرب قبل الإسلام تطورا تدريجيا عبر الزمن، إذ اقتصرت في بداياتها على المنتجات المحلية، مثل التمور والجلود، ثم أخذت تتنوع مع اتساع طرق القوافل وازدياد الاتصال بالمناطق المجاورة، فدخلت سلع جنوب الجزيرة كالبخور واللبان، تلتها منتجات الشام والعراق واليمن، مثل الحبوب والمنسوجات. ويعكس هذا التطور انتقال التجارة من نطاق محلي محدود إلى تبادل أوسع مرتبط بحركة القوافل والأسواق" تتميز الأسواق التي على فرض البحر بوجود النزال الأجانب وتأثر أصحابها باختلاطهم مؤلَّفاً، وما يستتبع ذلك من تغير في العادات والزي والصبغة، فليس من المعقول أن تكون أحوال سوق صنعاء مثلاً مشابهة كل المشابهة للأحوال التي لسوق هجر، أو التي لسوق الجند القديمة باليمن، أو سوق الحجر بيوه وهي خاصة باليمن أيضاً، يتسوقها في موسمها نحو عشرة آلاف، أو سوق وادي القرى (أو قرح) الذي هلك فيه قوم عاد في زعمهم"[1]

ويُظهر تطور السلع المتداولة عبر القرون أن النشاط التجاري لم يكن مستقرا، بل تأثر بالتغيرات السياسية التي شهدتها المنطقة، ولاسيما الصراعات بين القوى الكبرى غربا وشرقا كالروم والفرس. فقد أدت هذه الصراعات إلى تغير مسارات التجارة وطرق

[1]) الافغاني سعيد, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ،ص١٩٤

القوافل، مما انعكس بدوره على نوعية السلع المتداولة وحجمها، حيث ازداد الاعتماد على سلع معينة أو تراجع تداول أخرى تبعا لظروف الأمن والاستقرار في تلك الطرق. وبذلك، فإن تغير أنماط التجارة كان نتيجة مباشرة لهذه التحولات السياسية، التي أسهمت في إعادة توجيه النشاط التجاري داخل الجزيرة العربية وخارجها" [١]

حيث "شهدت أنماط التجارة في الجزيرة العربية، ولاسيما في مكة، تحولات جوهرية نتيجة الصراعات السياسية والعسكرية بين القوى الكبرى في الشرق والغرب، مثل الفرس والبيزنطيين والحبشة. فقد أدت هذه الصراعات إلى اضطراب الطرق التجارية التقليدية، ولاسيما الطريق البحري عبر البحر الأحمر، نتيجة انتشار القرصنة وخطورة الملاحة، فضلًا عن التنافس العسكري للسيطرة على الموانئ الحيوية في جنوب الجزيرة العربية كعدن وصحار. ونتيجة لذلك، أخذت التجارة تتحول تدريجيًا من الاعتماد على الطرق البحرية إلى الطرق البرية الداخلية التي كانت أكثر أمانًا نسبيًا في بعض الفترات"[٢]

كما أسهم الصراع الفارسي–البيزنطي في تحويل مسارات التجارة العالمية" إذ حاول كل طرف احتكار طرق التبادل التجاري، خاصة تجارة التوابل القادمة من الهند. وقد أدى ذلك إلى إضعاف المراكز التجارية الجنوبية، مثل اليمن، بسبب الغزوات المتكررة والتدخلات السياسية، مما أفسح المجال أمام مراكز جديدة في وسط الجزيرة العربية، وفي مقدمتها مكة، لتلعب دور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب"[٣]-

ومن جهة أخرى" أدت الحملات العسكرية، كالغزو الحبشي لليمن ثم الرد الفارسي عليه، إلى إعادة تشكيل الخريطة الاقتصادية للمنطقة، حيث تحولت بعض طرق التجارة بعيدًا عن مناطق النزاع إلى طرق أكثر استقرارًا. كما ساعدت هذه الظروف على بروز الطرق البرية الممتدة عبر الحجاز، والتي ربطت بين الجنوب والشمال، وجعلت من مكة محطة رئيسة في شبكة التجارة الدولية"[٤]

---

[١])كرون باتريشيا :(ت ٢٠١٥)،تجارة مكة وظهور الإسلام ،ترجمة امال محمد الروبي ،ط١،المجلس الأعلى للثقافة، مصر-القاهرة ،٢٠٠٥،ص ٧٨

[٢]) ينظر المصدر نفسه ،ص٧٩-٨٠

[٣]) ينظر المصدر نفسه، ص٨٠-٨٣

[٤]) ينظر المصدر نفسه، ص٨٠-٨٣

كذلك فإن سعي القوى الكبرى للسيطرة على منابع الثروات، كالمعادن والفضة" أدى إلى إنشاء مستعمرات ومراكز نفوذ في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية، مما أدى بدوره إلى تغيير اتجاهات التجارة وتنوعها. ومع ضعف السيطرة المباشرة لهذه القوى على وسط الجزيرة، تمكنت قريش من استغلال هذا الفراغ السياسي لتعزيز دورها التجاري، مستفيدة من موقع مكة الجغرافي وعلاقاتها القبلية، فظهرت كقوة اقتصادية قادرة على تنظيم الرحلات التجارية الموسمية وربط الأسواق المختلفة"[١]

وبذلك يمكن القول إن الصراعات بين الممالك شرقًا وغربًا لم تؤدِّ فقط إلى اضطراب التجارة، بل أسهمت في إعادة توزيع مراكزها ومساراتها، مما أفضى إلى ظهور أنماط جديدة من النشاط التجاري، كان أبرزها انتقال الثقل من الأطراف الجنوبية المضطربة إلى المراكز الداخلية المستقرة نسبيًا، وهو ما مهّد لازدهار مكة قبيل ظهور الإسلام اذ سفرت الصراعات بين الممالك في الشرق والغرب عن تحولات واضحة في أنماط التجارة، إذ تبدّلت مساراتها وتراجع الاعتماد على بعض الطرق التقليدية لصالح طرق أكثر أمنًا واستقرارًا. ومن هذا المنطلق، لا يمكن فهم طبيعة النشاط التجاري في الجزيرة العربية دون النظر إلى أثر طرق التجارة الدولية التي خضعت لنفوذ القوى الكبرى، كالروم والفرس والحبشة، وما تركته من تأثير مباشر في ازدهار الأسواق وتنظيم حركتها.

حيث أن طرق التجارة الدولية، الخاضعة لنفوذ القوى الكبرى كالروم والفرس والحبشة، كان لها أثر واضح في توجيه النشاط الاقتصادي داخل الجزيرة العربية، ولاسيما في تنشيط الأسواق أو تراجعها. فقد أدّت الصراعات السياسية والعسكرية بين هذه القوى إلى اضطراب الطرق البحرية، خاصة عبر البحر الأحمر والخليج، نتيجة التنافس على الموانئ وانتشار القرصنة، الأمر الذي أضعف بعض المراكز التجارية الساحلية. وفي المقابل، برزت أهمية الطرق البرية التي اتسمت بدرجة أعلى من الاستقرار النسبي، مما أدى إلى إعادة توجيه حركة القوافل نحو الداخل[٢]

[١]) كرون باتريشيا :(ت ٢٠١٥)،تجارة مكة وظهور الإسلام ، ص٨٠-٨٦
[٢]) ينظر المصدر نفسه ،ص٧٩-٨٧

كما أسهمت سيطرة الفرس والحبشة على جنوب الجزيرة العربية، وسعي البيزنطيين إلى موازنة هذا النفوذ، في تحويل مسارات التجارة الدولية، خصوصًا تجارة الشرق القادمة من الهند، وهو ما انعكس على طبيعة النشاط التجاري في الأسواق العربية. ونتيجة لذلك، شهدت بعض المراكز التقليدية تراجعًا، في حين ازدهرت مراكز أخرى، وفي مقدمتها مكة، التي استفادت من موقعها الجغرافي ومن هذا التحول في الطرق التجارية لتؤدي دور الوسيط بين أطراف التجارة الدولية. وبذلك، يمكن القول إن تدخل القوى الكبرى في طرق التجارة لم يقتصر أثره على مسارات السلع فحسب، بل امتد ليشمل إعادة تشكيل بنية الأسواق ونشاطها داخل الجزيرة العربية[1]

وقد أسهم تأثير طرق التجارة الدولية، الخاضعة لنفوذ الروم والفرس والحبشة، في تجاوز الأسواق العربية وظيفتها التقليدية بوصفها مراكز للتبادل المحلي المحدود، لتتحول تدريجيًا إلى مراكز تجارة إقليمية ذات دور أوسع. إذ أدى اتصال هذه الأسواق بشبكات التجارة الدولية ومرور القوافل الكبرى عبرها إلى تنوع السلع وتزايد حجم التبادل، فضلًا عن تنظيم النشاط التجاري واتساع دائرته، مما أكسبها طابعًا إقليميًا يتجاوز الإطار القبلي الضيق.

كما "شهدت أسواق العرب قبل الإسلام تباينًا واضحًا في طبيعتها ووظائفها تبعًا لاختلاف موقعها الجغرافي بين الشمال والجنوب، إذ ارتبطت أسواق الشمال ارتباطًا وثيقًا بالطرق التجارية البرية الممتدة نحو بلاد الشام والعراق، مما جعلها أكثر اتصالًا بالحضارات الكبرى كالروم والفرس، وأشد تأثرًا بالتقلبات السياسية والصراعات الدولية. في المقابل، اتسمت أسواق الجنوب، ولاسيما في اليمن وحضرموت وعدن، بطابع بحري تجاري، نظرًا لارتباطها بالملاحة في البحر الأحمر والمحيط الهندي، حيث كانت تمثل حلقة وصل رئيسة في تجارة الشرق، خصوصًا مع الهند وشرق إفريقيا. وقد انعكس هذا التباين على طبيعة السلع المتداولة، فغلب على أسواق الجنوب تداول السلع الفاخرة كالبخور والتوابل والمنتجات المستوردة، بينما تنوعت في أسواق الشمال السلع بين المحلية والمستوردة تبعًا لدورها الوسيط في حركة التبادل التجاري. ومن ثمّ، فإن اختلاف

[1] كرون باتريشيا :(ت ٢٠١٥)،تجارة مكة وظهور الإسلام ، ص٨٠-٨٦

الموقع الجغرافي لم يكن مجرد عامل مكاني، بل أسهم في تشكيل بنية اقتصادية متمايزة بين أسواق الشمال والجنوب، من حيث الوظيفة التجارية، ونوعية السلع، ومدى التأثر بالعوامل السياسية والإقليمية"[1]

ارتبط تطور الوظيفة التجارية للأسواق في الجزيرة العربية بتطور وظائفها التنظيمية والسياسية ارتباطًا وثيقًا؛ فمع اتساع النشاط التجاري لم تعد الأسواق مجرد أماكن للتبادل، بل ظهرت الحاجة إلى تنظيم التعاملات وتأمين الطرق، مما أفضى إلى بروز أدوار سياسية وقضائية كحل النزاعات وتنظيم العلاقات بين القبائل. وبذلك نشأت علاقة متبادلة، حيث أسهم التنظيم السياسي في ازدهار التجارة، كما دفع نمو النشاط التجاري إلى تطوير وظائف تنظيمية أكثر تعقيدًا. استندت قوانين السوق في الجزيرة العربية قبل الإسلام إلى أسس تاريخية راسخة، تمثلت في الأشهر الحرم التي وفّرت بيئة آمنة للتجارة، وتحالفات القبائل التي ضمنت حماية الطرق وتنظيم العلاقات، مما أسهم في ترسيخ نظام عرفي ضبط النشاط التجاري ومهّد لتطوره .

حيث اعتُبر نظام الأشهر الحرم عند العرب قبل الإسلام بمثابة قانون عرفي ملزم، إذ حرّم القتال وسفك الدماء ووفّر بيئة آمنة للتجارة والتنقل، في حين أسهمت تحالفات القبائل في تعزيز هذا النظام عبر تأمين الطرق وتنظيم العلاقات وحماية الأسواق. وبذلك تكاملت الأعراف الدينية مع التحالفات القبلية لتشكّل إطارًا تنظيميًا وسياسيًا يضبط النشاط التجاري ويضمن استقراره، وهو ما مهّد لاحقًا لظهور أشكال أكثر تنظيمًا من الإشراف على الأسواق، تمثلت في وظائف مثل السقاية والرفادة والعشور، التي أسهمت في إدارة النشاط الاقتصادي وتطويره.

إذ "استنفذ أمر مكة وولاية البيت من جرهم وخزاعة بعد حرب شديدة، وجمع أشتات قومه، فأنزلهم حول الحرم وملك أمرهم ((فكان أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكًا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كله، وقطع مكة رباعًا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي

[1]) محمود فاخوري، مع كتاب أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، مجلة التراث العربي، مجلد ٢٣، العدد ٩٢، ٢٠٠٣، ص ٤١–٤٥، ٤٧–٤٩.

أصبحوا عليها... فقسمته قريش مجمعًا لما جمع من أمرها وتيمنت بأمره فما تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش، ولا يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره، إلخ))"[1]

اما العشور " مقدار مالي أو نسبة تُؤخذ من التجار على بضائعهم عند دخول الأسواق أو المرور بها، وتُدفع للسلطة المسيطرة على السوق أو الطريق، مقابل الحماية وتنظيم النشاط التجاري" وجاء في بعض الأخبار أن أشراف العرب كانوا يتوافون بتلك الأسواق مع التجار[2]

من أجل أن الملوك كانوا يرضخون للأشراف، لكل شريف بسهم من الأرباح؛ فكان شريف كل بلد يحضر سوق بلده، إلا عكاظ، فإنهم كانوا يتوافون بها من كل أوب١. فسوق عكاظ إذن سوق حرة، لا عشور فيها ولا خفارة, وهي تختلف بذلك عن بقية الأسواق التي كان يعشرها الملوك؛ إذ كانت في حكم "ملك"، أو في حكم الأمراء وسادات القبائل، على أن يؤدوا سهمًا من الأرباح المتجمعة من العشور والخفارات إلى أشراف العرب، أي: سادات القبائل الذين تقام تلك الأسواق في أرضهم. فأشراف "تميم" وإن أشرفوا على هذه السوق، وحكموا بها، ونظموا أمورها، إلا أنهم لم يكونوا يجبون شيئًا من التجار, ولعل ذلك كان بتأثير قريش عليهم، فقد كان رجال مكة هم المستأثرون الأثيرون من عكاظ, وكانوا يشجعون العرب على حضورها؛ لما لهم فيها من منافع اقتصادية، وقد كان لهم أنفسهم إشراف على نواحٍ من أمور السوق. ويظهر أنه لأجل تشجيع القبائل على حضور "عكاظ" وجمع أكثر من يمكن جمعه من التجار، اتفقوا مع سادات تميم ولا سيما مع "بني دارم", على أن يتركوا السوق حرة؛ ليقصدها أي تاجر، فلا يكلف أحد منهم بكلفة العشور والخفارة، ولا يهان أو يعتدى عليه، وهو بالطبع في شهر حرام؛ ليضمنوا بذلك حضور أكبر عدد ممكن من الناس، وليضمنوا مجيئهم بعد ذلك إلى مكة. وقد كانوا يسعون جهد طاقتهم لجلب العرب إليها من الأماكن البعيدة؛ ليستفيدوا منهم في موسم الحج، وليكوِّنوا معهم صلات طيبة وعلاقات وثيقة تؤمن لهم

[1]) الافغاني سعيد ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ،ص٤٦
[2]) المصدر نفسه ،ص٤٦

ولقوافلهم ولتجارتهم حق المرور بأمن وسلام، وتقديم كل ما يحتاج إليه رجال القوافل من ماء وطعام ومأوى وحماية[١]

ارتبط تنظيم سوق عكاظ ارتباطًا وثيقًا بكلٍّ من قدسية الشعائر (الأشهر الحرم) والقوة القرشية في مكة؛ إذ وفّرت الأشهر الحرم إطارًا دينيًا يضمن الأمن ووقف القتال، مما أتاح للتجار والقبائل الاجتماع بأمان، في حين أسهمت قريش، بما تمتعت به من نفوذ سياسي وتنظيمي، في إدارة شؤون السوق وضبط علاقاته، مستندةً إلى مكانتها الدينية وخبرتها التجارية. وبذلك تكامل العامل الديني مع القوة القريشية ليشكّلا أساسًا فعّالًا في تنظيم سوق عكاظ واستقراره.

حيث "برزت قريش بوصفها قوة اقتصادية وتنظيمية مركزية في مكة قبل الإسلام، إذ ارتبط اسمها أساسًا بالتجارة وجمع المال، حتى عُرفت بين العرب بمهارتها في الكسب وإدارة النشاط التجاري. وقد أسهم هذا التفوق الاقتصادي في ترسيخ نفوذها داخل مكة وخارجها، خاصة بعد أن قام قصي بن كلاب بتوحيد قريش وتنظيم شؤونها، فجعل لها مؤسسات تنظيمية واضحة مثل دار الندوة، وأسند إليها وظائف الحجابة والسقاية والرفادة، وهي وظائف لم تكن دينية فحسب، بل حملت أبعادًا اقتصادية وإدارية مباشرة. وانعكس هذا التنظيم على الأسواق الكبرى، مثل سوق عكاظ وغيره، حيث استطاعت قريش أن تمارس دورًا محوريًا في ضبط العلاقات التجارية، وتأمين حركة التجار، وتنظيم مواسم البيع، مستفيدةً من مكانتها الدينية والسياسية في الحرم. وبذلك تحولت الأسواق من تجمعات تجارية مؤقتة إلى مراكز منظمة تخضع لنفوذ قريش وإدارتها، مما أسهم في استقرار النشاط الاقتصادي وازدهاره في الجزيرة العربية"[٢]

قد أسهمت القوة القريشية في مكة، بما تمتعت به من تفوق اقتصادي ومكانة دينية وتنظيم إداري محكم، في إحداث تحول نوعي في وظيفة الأسواق داخل الجزيرة العربية؛ إذ لم تعد هذه الأسواق مجرد فضاءات للتبادل التجاري، بل غدت مؤسسات شبه منظمة تؤدي أدوارًا متعددة تتجاوز البعد الاقتصادي. فقد وفّرت الأسواق، ولاسيما

[١]) جواد علي ، كتاب المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام - أسواق العرب الموسمية - المكتبة الشاملة ،ص٦٧
[٢]) ينظر ، الافغاني سعيد, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام،ص٩١-٩٦

في ظل إشراف قريش ونفوذها، إطارًا آمنًا ومنضبطًا لاجتماع القبائل، الأمر الذي أتاح فرصًا للتواصل المباشر، وعقد التحالفات، وتسوية النزاعات وفق أعراف مستقرة، مما أسهم في تنظيم العلاقات التاريخية بين القبائل وترسيخ توازناتها ومع اتساع النشاط التجاري وتزايد الاعتماد على هذه الأسواق، أخذت وظيفتها تتطور تدريجيًا لتكتسب أبعادًا سياسية واضحة، حيث أصبحت ساحات للتأثير وبسط النفوذ، ومجالات لإبراز المكانة القبلية، ومراكز غير مباشرة لصناعة القرار داخل المجتمع العربي قبل الإسلام. ولم يقتصر هذا التحول على الجوانب الاقتصادية والسياسية فحسب، بل مهّد بطبيعته لظهور أنماط جديدة من التفاعل الاجتماعي، تمثلت في ازدهار الأنشطة الثقافية داخل الأسواق، من خطابة وشعر ومفاخرات، لتتحول الأسواق إلى فضاءات جامعة تعكس مختلف مظاهر الحياة العربية في تلك المرحلة[1]

شهدت الأسواق في الجزيرة العربية قبل الإسلام تطورًا تدريجيًا لم يقتصر على الوظيفة التجارية والتنظيمية، بل امتد ليشمل جوانب ثقافية ظهرت مع اتساع دورها كمراكز تجمع للقبائل. فقد أدى انتظام المواسم التجارية وتوافد العرب من مختلف المناطق إلى تحول الأسواق إلى فضاءات لعرض مظاهر التعبير الثقافي، حيث برزت فيها الخطابة والشعر والمفاخرات القبلية بوصفها أنشطة مرافقة للحركة التجارية. وبذلك أصبحت الأسواق عبر الزمن مراكز متعددة الوظائف تعكس تطور الحياة العربية، وتمهّد لظهور دورها الثقافي بوصفه امتدادًا طبيعيًا لوظيفتها التاريخية.

اذ " تشير الشواهد التاريخية إلى أن بدايات ظهور الشعر والخطابة عند العرب تعود إلى مرحلة مبكرة تسبق الإسلام، حيث ارتبطت هذه الظواهر ببيئة اجتماعية قائمة على المشافهة والتجمعات العامة، ولاسيما الأسواق الموسمية التي شكّلت مراكز رئيسة لاجتماع القبائل. وقد أسهمت هذه الأسواق، بما وفرته من فضاء مفتوح للتلاقي، في بروز الشعراء والخطباء الذين عرضوا نتاجهم أمام جمهور واسع، مما أدى إلى انتشار الشعر وتداوله وحفظه. كما ارتبطت هذه الأنشطة بالسياق الثقافي العام، إذ لم تكن مجرد تعبير فني، بل أداة للتأثير والإقناع وإبراز المكانة القبلية. ومن ثمّ، أصبحت

[1]) ينظر ، الافغاني سعيد, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٩٥-١٠٠

الأسواق إطارًا حيويًا لنشوء النشاط الثقافي، حيث تداخلت فيها الوظائف الاقتصادية مع الممارسات الثقافية، ممهدةً لظهور دورها بوصفها مراكز ثقافية فاعلة في المجتمع العربي قبل الإسلام"[١]

اذ "تشير الشواهد التاريخية إلى أن النشاط الثقافي في الأسواق العربية قبل الإسلام قد تطوّر ليأخذ طابعًا منظمًا، تمثّل في ظهور حلقات الشعراء والرواة داخل تلك الأسواق، ولاسيما في المراكز الكبرى التي شابهت في تنظيمها سوق عكاظ. فقد كان لكل شاعر حلقة يجتمع فيها الناس للاستماع إلى شعره، كما عُرفت مجالس أدبية خاصة تُتداول فيها الأشعار، وأسهم الرواة بدور محوري في حفظها ونقلها بين القبائل. وقد أفضى هذا التنظيم إلى ازدهار ملحوظ في اللغة والأدب، حتى غدت الأسواق فضاءات للنقد والتداول الثقافي. ومن أبرز مظاهر هذا الازدهار المعلّقات، وهي قصائد مختارة عُلّقت تكريمًا لأصحابها، مما يعكس مكانتها الرفيعة في التراث الأدبي الجاهلي [٢]

يتضح من خلال هذا الفصل أن الأسواق في الجزيرة العربية قبل الإسلام لم تكن مجرد مراكز للتبادل التجاري، بل مثّلت منظومة متكاملة أسهمت في تشكيل الحياة العربية في أبعادها الاقتصادية والسياسية والثقافية. فقد تطورت وظيفتها من نشاط تجاري بسيط إلى مراكز إقليمية فاعلة ارتبطت بطرق التجارة الدولية، في ظل تنظيم عرفي تمثّل في الأشهر الحرم وتحالفات القبائل التي وفّرت الأمن والاستقرار، كما برزت قريش بوصفها قوة تنظيمية أسهمت في ضبط الأسواق وإدارة شؤونها، مما أدى إلى تحولها إلى فضاءات لتنظيم العلاقات بين القبائل ومراكز نفوذ سياسي غير مباشر.

ومع اتساع دور هذه الأسواق، امتدت وظائفها إلى المجال الثقافي، حيث ارتبطت بالمواسم والتجمعات العامة التي شهدت بروز الخطابة والشعر، ثم تطور هذا النشاط بظهور حلقات الشعراء والرواة، مما أسهم في انتشار الأدب وتداوله بين العرب.

[١]) علي جواد ،كتاب المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ط٤ ، بيروت ،دار الساقي ،٢٠٠١،ج٧ ،ص٢٠٨٤-٢٠٨٥
[٢]) الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل، بيروت، ص ٥–١٠

وبـذلك أصـبحت الأسـواق مؤسسـات جامعـة تعكـس مختلـف مظـاهر الحيـاة العربيـة قبـل الإسلام.

ومـن هنـا، فـإن هـذا التطـور المتـدرج فـي وظـائف الأسـواق وأدوارهـا يمهّـد للوقـوف علـى مكانتهـا التاريخيـة قبيـل ظهـور الإسـلام مباشـرة، حيـث بلغـت هـذه الأسـواق ذروة تأثيرها في تنظيم الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية في المجتمع العربي.

بلغت الأسواق التاريخية في شبه الجزيرة العربية ذروة تطورها من حيث التنظيم والأهمية. ففي أواخر العصر الجاهلي (القرن السادس الميلادي)، اكتملت ملامح النشاط التجاري بفضل انتظام حركة القوافل وارتباطها الوثيق بالمواسم الدينية والاجتماعية.

فهذه الأسواق لم تكن بمعزل عن التحولات السياسية والاقتصادية التي عصفت بالمنطقة آنذاك، بل كانت هي المرآة التي تعكس ثقل القبائل ومكانة المدن.

فقد شهدت الأسواق في القرن السادس الميلادي تطورا ملحوظا، إذ أصبحت أكثر تنظيما وانتشارا، ولاسيما في الحجاز، حيث برزت أسواق كبرى مثل عكاظ ومجنة وذي المجاز، المرتبطة بالمواسم وحركة القوافل. كما ازداد دور مكة بوصفها مركزا تجاريا مهما، مما أسهم في تنشيط هذه الأسواق واتساع نطاق التبادل التجاري" وكان لمكة المكرمة قبيل ظهور الإسلام ازدهاراً تجارياً ملحوظاً، جعلها من أبرز المراكز الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية، إذ تحولت إلى محور رئيسي لحركة التجارة بين الشمال والجنوب. فقد أسهم موقعها الجغرافي في ربط طرق التجارة الدولية التي تصل بين بلاد الشام واليمن، كما استفادت من الأمن النسبي الذي وفرته قريش، مما عزز مكانتها كمركز تجاري مهم. وتشير المصادر إلى أن مكة كانت تمثل مركزاً لتجمع التجار، حيث ترد إليها السلع من مختلف الأقاليم، كالعراق واليمن ومصر، ثم يعاد توزيعها إلى مناطق أخرى، الأمر الذي جعلها حلقة وصل تجارية بين الشرق والغرب"[1]

كما" ارتبط ازدهار مكة بتنظيم قريش للرحلات التجارية الموسمية، ولا سيما رحلتي الشتاء والصيف، مما أدى إلى تنشيط التبادل التجاري واتساع نطاقه، وتحول الأسواق من مجرد مراكز محلية إلى مراكز ذات طابع إقليمي، تستقطب مختلف القبائل والتجار، وتسهم في تنشيط الحياة الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء"[2]

[1]) فاخوري محمود ، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، مجلة التراث العربي، مجلد ٢٣ ، العدد ٩٢، سوريا، ٢٠٠٣، ص ٤٤–٤٥.

[2]) محمود فاخوري، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٤٥–٤٧.

وقد ارتبط ازدهار مكة التجاري بشكل وثيق بتصاعد نفوذ قريش، إذ أسهمت سيطرتها على طرق القوافل وتنظيمها للعلاقات التجارية في تعزيز مكانة مكة كمركز رئيس للنشاط الاقتصادي حيث "أن قريش بلغت درجة عالية من السيطرة على طرق التجارة، ولا سيما الطريق الغربي الممتد بين اليمن والشام، إذ تمكنت من إحكام قبضتها على النشاط التجاري في الجزيرة العربية. فقد ورد أن قريش «كانت في تلك الحلبة التجارية هي المجلّية، فقد قبضت على مخنق العرب واحتجنت الأموال"[١]

يمكن القول إن نفوذ قريش التجاري لم يكن مجرد نشاط اقتصادي، بل كان أساس قوتها السياسية والاجتماعية، إذ أدى تحكمها في طرق التجارة إلى تعزيز مكانتها بين القبائل، وجعل مكة مركزًا تجاريًا إقليميًا بارزًا قبيل ظهور الإسلام "كما يذكر أن انتقال التجارة من أيدي اليمنيين إلى قريش في القرن السادس الميلادي كان نتيجة لاضطراب الأوضاع السياسية والحروب بين القوى الكبرى، مما أتاح لقريش أن تحل محلهم وتسيطر على التجارة في الجزيرة العربية، خاصة في ظل اعتماد الروم على تجارة مكة في بعض احتياجاتهم "[٢]

ان سوق عكاظ قبيل البعثة لم يكن مجرد سوق تجاري، بل كان مؤسسة اقتصادية وثقافية كبرى، ازدهرت بفضل استقرار طرق التجارة ونفوذ قريش، مما جعله أحد أهم المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية قبل الإسلام حيث " كانت تزخر بالناس من تجار وصناع، وأدباء وشعراء وخطباء، وساسة وأشراف"[٣]

ويمكن ربط ذلك بانهيار سدّ مأرب، إذ أدّى هذا الحدث إلى تفكك الاستقرار الاقتصادي في جنوب الجزيرة وهجرة عدد كبير من القبائل، مما أعاد توجيه طرق التجارة نحو الحجاز، فازدادت أهمية أسواقه ومنها عكاظ. غير أن

[١]) ينظر ، الافغاني سعيد, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام،ص١٠-١٢
[٢]) ينظر ، الافغاني سعيد, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام،ص١٠-١٥
[٣]) الافغاني سعيد, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ،ص ٧

هذا التحول، مع ما رافقه من تزاحم قبلي واضطراب في موازين القوى، أسهم في تصاعد النزاعات مثل حرب الفِجار، الأمر الذي انعكس سلبًا على استقرار الأسواق وحركة التجار" وقد ارتبط تراجع الدور التجاري لجنوب الجزيرة العربية بأحداث تاريخية كبرى، من أبرزها انهيار سد مأرب، الذي أدى إلى ضعف الممالك اليمنية وتفكك بنيتها الاقتصادية، فضلا عن هجرة عدد من القبائل إلى مناطق مختلفة من الجزيرة العربية. وقد انعكس ذلك على حركة التجارة، إذ تراجعت سيطرة اليمنيين على طرق القوافل، مما مهد لانتقال النشاط التجاري تدريجيا إلى مناطق أخرى، ولاسيما مكة، حيث برزت قريش بوصفها القوة التجارية الجديدة التي أخذت تستأثر بتجارة الجزيرة العربية فلما كان القرن السادس انتقلت التجارة من أيدي اليمنيين بالتدريج إلى قريش"[1]

حيث "أدى خراب سد مأرب إلى تفرق قبائل اليمن في أنحاء الجزيرة العربية، وكان لذلك أثر واضح في ضعف النشاط الاقتصادي في الجنوب، مما أسهم في انتقال طرق التجارة إلى مناطق أخرى، ولاسيما الحجاز"[2]

وقد كان لانهيار سد مأرب أثر واضح في إعادة تشكيل الحركة التجارية في الجزيرة العربية، إذ أدى إلى ضعف المراكز الاقتصادية في جنوبها وتراجع دورها في السيطرة على طرق القوافل، فضلا عن تفرق القبائل وهجرتها إلى مناطق متعددة. ونتيجة لذلك، اختل التوازن التجاري الذي كانت تهيمن عليه ممالك اليمن، مما مهد لتحول تدريجي في مسارات التجارة نحو مناطق أخرى داخل الجزيرة"[3]

وفي ظل هذا الضعف، برز النفوذ الفارسي والحبشي بوصفه عاملا مؤثرا في توجيه النشاط التجاري، حيث سعت هذه القوى إلى السيطرة على اليمن ومنافذها التجارية، الأمر الذي أدى إلى اضطراب بعض طرق القوافل وتحولها إلى مسارات أكثر أمنا. وقد انعكس هذا الصراع على طبيعة التبادل

[1] الافغاني سعيد, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ،ص ١٢
[2] علي جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، دار الساقي، بيروت، ط٤، ٢٠٠١، ص ٤٥٩
[3] ينضر المصدر نفسه ،ص٤٥٩-٤٦٢

التجاري، إذ لم يعد مستقرا، بل خضع لتأثيرات سياسية خارجية أسهمت في إعادة توزيع مراكز النشاط التجاري داخل الجزيرة العربية[1]

كما ارتبطت هذه التحولات بأحداث كبرى مثل عام الفيل، الذي يعكس محاولة السيطرة على مكة لما تمثله من أهمية دينية وتجارية، إذ أدى فشل هذه المحاولة إلى تعزيز مكانة مكة واستقرارها، مما ساعد على تحويل مسارات التجارة إليها تدريجيا. وبهذا، أصبحت مكة مركزا رئيسا للتبادل التجاري، وبرزت قريش بوصفها القوة التي نظمت هذه الحركة وأسهمت في ازدهارها قبيل ظهور الإسلام[2]

[1] الافغاني سعيد, أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ،ص ١٠
[2] ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ج١، ص ٤٤

الخاتمة

في ضوء ما تقدم من مباحث، يتبين أن الأسواق في الجزيرة العربية قبل الإسلام لم تنشأ بصورة مفاجئة، بل جاءت نتيجة مسار تاريخي طويل ارتبط بتطور النشاط التجاري وتحولاته عبر العصور. فقد أظهر المبحث الأول أن نشأة الأسواق كانت امتدادا طبيعيا لبدايات التجارة العربية، التي تطورت من تبادل بسيط إلى نشاط أوسع بفعل اتساع طرق القوافل وعلاقات العرب بالممالك المجاورة، فضلا عن تأثير الموقع الجغرافي للجزيرة بوصفها حلقة وصل بين الشرق والغرب كما أوضح المبحث الثاني أن الأسواق لم تبقَ ثابتة في وظائفها، بل شهدت تطورا تدريجيا، إذ انتقلت من مجرد مراكز لتبادل السلع إلى مؤسسات ذات وظائف متعددة، تأثرت بالظروف السياسية والصراعات الدولية، مثل الصراع بين القوى الكبرى، وما نتج عنه من تغير في طرق التجارة وتنوع السلع المتداولة أما المبحث الثالث، فقد بيّن أن الأسواق بلغت في أواخر العصر الجاهلي مرحلة متقدمة من التنظيم والأهمية، حيث أصبحت مراكز تجمع للعرب، وأسهمت في توسيع نطاق التواصل بينهم، ونقل الأخبار والمعارف، وتهيئة بيئة مشتركة ساعدت على تقاربهم، خاصة من خلال ارتباطها بالمواسم ولاسيما موسم الحج ومن هنا، تتجلى أهمية الأسواق بوصفها مدخلا أساسيا في قراءة تاريخ العرب قبل الإسلام، إذ تعكس طبيعة حياتهم الاقتصادية، وتكشف عن علاقاتهم السياسية وتفاعلاتهم الاجتماعية، فضلا عن دورها في ربط مناطق الجزيرة العربية بعضها ببعض. وبذلك، فإن دراسة الأسواق لا تقتصر على الجانب التجاري فحسب، بل تمثل وسيلة لفهم التحولات التاريخية الكبرى التي شهدها المجتمع العربي قبيل ظهور الإسلام

التوصيات

١- إجراء دراسات مقارنة بين الأسواق قبل الإسلام والأسواق في صدر الإسلام، لبيان أوجه الاستمرارية والتغير في الوظائف والتنظيم.

٢- التوسع في دراسة الدور السياسي للأسواق بعد الإسلام، ومدى تحولها من فضاءات قبلية إلى مؤسسات ذات طابع إداري وتنظيمي واضح.

٣- البحث في تأثير الفتح الإسلامي في إعادة توجيه طرق التجارة وتغير مراكز الأسواق داخل الجزيرة العربية وخارجها.

٤- دراسة الأسواق بوصفها مراكز ثقافية في الفترات اللاحقة، وتحليل تطور دورها في نقل المعرفة والأخبار مقارنة بالعصر الجاهلي.

١. القران الكريم , سورة قريش
٢. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٥، ج٣،
٣. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٥، ج١
٤. أبو جعفر محمد بن حبيب : المحبر ، تحقيق ايليزة ليختن شنيتر ، بيروت ، د ت
٥. الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ): الإبل، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط ١، دار البشائر، دمشق – سورية، ٢٠٠٣م
٦. البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط ٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧م، ج ٦
٧. جواد علي ،كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ط٤ ، بيروت ،دار الساقي ،٢٠٠١،
٨. الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل، بيروت،
٩. خالد بن عبد العزيز بن علي العليان، الأسواق التجارية في الحجاز واليمن منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر العباسي الأول (١–٢٣٢هـ / ٦٢٢–٨٤٦م)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، بإشراف: د. عبد العزيز بن سليمان المقبل، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٣–١٤٣٤هـ / ٢٠١١–٢٠١٢م
١٠. سعيد الافغاني , أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ,دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ,لبنان – بيروت , ط٣ , ١٩٧٤
١١. عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٠

١٢. فيليب حتي، تاريخ العرب (مطول)، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، الجزء الثالث ، بيروت، ط٥، ١٩٥١

١٣. القيومي ، المصباح المنير ، (مادة عكاظ)

١٤. كرون باتريشيا :(٢٠١٥)،تجارة مكة وظهور الإسلام ،ترجمة امال محمد الروبي ،ط١،المجلس الأعلى للثقافة، مصر–القاهرة ،٢٠٠٥

١٥. المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشيباني (ت ٢٨٥هـ): المراثي والمواعظ والوصايا، تحقيق: إبراهيم محمد حسن، مطبعة النهضة – مصر (بلا)

١٦. محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٨

١٧. ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان (بيروت: د.ت)، ج ٤

١. بحث منشور . محمود فاخوري، مع كتاب أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، مجلة التراث العربي، مجلد ٢٣، العدد ٩٢، ٢٠٠٣،